خلفاء العصر العباسي الثالث

١ ـ الخلافة العباسية وسلطان آل بويه :

يرجع نسب البويهيين إلى زعيم فارسي اسمه بويه. عاش في إقليم الديلم إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين. وقد بدأ ظهورهم على مسرح الأحداث، عندما دخل علي بن بويه وأخواه الحسن وأحمد في خدمة الأمير مرداويج بن زيار صاحب بلاد جرجان وطبرستان وقزوين وزنجان والكرج.

ولي مرداويج علي بن بويه بلاد الكرج[١]، ثم ما لبث ابن بويه أن ضم إليه همذان وأصفهان وغيرهما من الأقاليم في بلاد فارس الأمر الذي جعل الأمير مرداويج يخافه. فقرر طرده من بلاد الكرج، وأرسل جيشاً كبيراً لطرده منها. فتنقل علي بن بويه حوالى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م بين أصبهان واصطخر وشيراز. وأخيراً رأى ابن بويه أن من مصلحته أن يسترضي الأمير مرداويج بإقامة الخطبة له، وتقديم الهدايا الثمينة، كما أرسل أخاه الحسن ليكون رهينة عند مرداويج[٢]. فلاقى هذا الأسلوب استحساناً لدى الأخير فأضاف إليه أرجان بعد أن ثبته على بلاد الكرج.

وسارت الرياح وفق ما يشتهي علي بن بويه، فكان أن قتل مرداويج سنة ٣٢٣ هـ/ ٩٣٥ م بيد جنوده الأتراك الذين تمردوا عليه بزعامة «بجكم» و «توزون». وبعد مقتل مرداويج فرّ الحسن بن بويه الذي كان رهينة عنده، وسار إلى أخيه علي بن بويه بفارس، عندئذٍ استقوى علي بن بويه بأخويه، فأرسل أخاه الحسن ـ الأوسط ـ إلى بلاد الجبل، فاستولى عليها. كما بعث أخاه أحمد ـ الأصغر ـ إلى أهواز والعراق للإستيلاء عليهما، مستغلاً ضعف الخليفة العباسي، وقد اضطربت أمور خلافته بسبب اشتداد التنافس بين الأمراء حول منصب «أمرة الأمراء». فما كان من قواد بغداد إلاّ أن بعثوا إلى أحمد بن بويه ـ وهو عند واسط بالعراق ـ يطلبون إليه المجيء إليهم. فجاء بغداد تلبية لطلبهم في جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م[٣].

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ٢٧٨. والكامل في التاريخ جـ ٦ / ٢٣٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٦ / ٢٤٦.

(٣) الكامل في التاريخ ٦ / ٣١٤.

فاستقبله الخليفة العباسي ـ المستكفي بالله ـ واحتفى بـه، وأعطاه «إمـارة الأمراء»، وعقد له لواء، ولقبه «معز الدولة»، ولقب أخاه الأوسط «ركن الدولة» وأخاه الأكبر «عماد الدولة». وأمر أن تضرب ألقابهم على الدينار والدرهم(٤).

يعد هذا التاريخ بداءة مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العباسية، أصبح فيها الخليفة مجرد زعيم ديني لا أمر له ولا نهي ولا وزير، إنما له كاتب يدير إقطاعاته لا أكثر. في حين غدا بنو بويه سلاطين مطلقي التصرّف في العراق، والخلفاء تحت سيطرتهم ووصايتهم. ولم يقف بنو بويه عند هذا الحد من النفوذ والتسلط، بل تعدوا على أشخاص الخلفاء انتقصوا من حقوقهم. كل ذلك لأن بني بويه كانوا شيعة زيدية، وان باعتقادهم لا حق لبني العباس في الخلافة، وانهم اغتصبوها من أصحابها الحقيقيين من أبناء البيت العلوي. فمن هنا راجت الفكرة التي تقول: بأن معز الدولة ـ أحمد ـ فكر في أن يزيل الخلافة من بني العباس ويوليها علوياً لو لم ينهـه أحد أصحـابه عن ذلـك بقولـه:(٥) «إنك اليـوم مع خليفـة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمـرهم بقتلك لفعلوا». وعندئـذٍ أعـرض معـز الـدولـة ـ أحمـد ـ عن عـزل المستكفي، وأبقى اسم الخلافة لبني العباس، وانفرد هـو بالسلطان الفعلي في الدولة.

وقد تولى الخلافة العباسية، والسلطة والنفوذ بيد سلاطين آل بويه من سنة ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ ـ ١٠٥٥ م، خمسـة خلفاء هم: المستكفي والمـطيع والطائع والقادر والقائم. وارتبط تاريخ الدولة العباسية في ذلك الدور بسلاطين آل بويه أكثر من ارتباطه بالخلفاء العباسيين.

---

(٤) الفخري في الأداب السلطانيـة. ٢٨٧. الكـامـل في التاريـخ ٦ / ٣١٤ البـدايـة والنهـاية. ١١ / ٢١٢ وتاريخ ابن خلدون جـ ٣ / ٤٢٠.

(٥) الكامل في التاريخ ٦ / ٣١٥. والبداية والنهاية جـ ١١ / ٢١٢ ـ ٢١٣.

٢ ـ خلفاء العصر العباسي الثالث

٢٢ ـ المستكفي بالله: ٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ /٩٤٤ ـ ٩٤٦ م.

أشرنا سابقاً إلى أن الخليفة المستكفي بالله استقبل أحمد بن بويه، واحتفى به، ولقبه معز الدولة. فكان أن بايع ابن بويه الخليفة، وحلف كل منهما لصاحبه، هذا بالخلافة وذاك بالسلطة.

وفي أحد الأيام ركب معز الدولة إلى دار الخلافة وسلم على المستكفي، وقبل الأرض بين يديه، وأمر المستكفي فطرح كرسي، فجلس عليه معز الدولة، ثم تقدم إلى المستكفي رجلان من الديلم بمواطأة معز الدولة فمدا أيديهما نحوه، فظن الخليفة انهما يريدان تقبيل يديه، فمد يده. فجذباه ونكساه من السرير ووضعا عمامته في عنقه، وسحباه إلى دار معز الدولة، فاعتقل بها، وخلع من الخلافة، ولم يزل في دار السلطنة معتقلاً حتى وفاته[٦].

٢٣ ـ المطيع لله: ٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ /٩٤٦ ـ ٩٧٤ م.

بويع المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد ـ ابن عم المستكفي ـ بالخلافة سنة ٣٣٤ هـ /٩٤٦ م، وطالت خلافته حتى بلغت أكثر من ٢٩ سنة وبالرغم من طول مدة خلافته، لم يكن له نفوذ فيها. وإنما كانت الكلمة الأولى والأخيرة في الدولة العباسية للسلاطين من آل بويه وهم:

ـ معز الدولة: ٣٣٤ ـ ٣٥٦ هـ /٩٤٦ ـ ٩٦٧ م.

ـ عز الدولة بختيار: ٣٥٦ ـ ٣٦٧ هـ /٩٦٧ ـ ٩٧٧ م منها ٧ سنوات في خلافة المطيع والباقي في خلافة الطائع لله (٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ /٩٧٤ ـ ٩٩١ م).

ومن أهم الأحداث التي واجهت المطيع لله:

١ ـ الحرب بين الحمدانيين والبويهيين:

تنازع كل من ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بويه السلطان في خلافة المطيع لله، إذ كان كل طرف منهما يريد الإغارة على ما بيد الآخر. ففي السنة الأولى من استلام معز الدولة بن بويه ـ أحمد ـ السلطة في بغداد هاجمها ناصر الدولة بن حمدان واستولى على الجانب الشرقي منها، لكن معز الدولة

---

(٦) الفخري في الأدب السلطانية. ٢٨٧. والكامل في التاريخ. جـ٦ / ٣١٥. والبداية والنهاية ١١ / ٢١٢.

تمكن من إنزال الهزيمة بخصمه وإلحاق الأذى بالناس من جراء النهب والقتل الذي مارسه الديلم[٧].

وسار معز الدولة سنة ٣٣٧ هـ /٩٤٩ م إلى الموصل للإستيلاء عليها رداً على مهاجمة ناصر الدولة لبغداد، فتركها ابن حمدان إلى نصيبين. عندئذٍ دخل ابن بويه الموصل[٨]، وأسرف في ظلم أهلها. لكنه صالح ناصر الدولة بن حمدان مضطراً بعدما أعلمه أخوه ركن الدولة ـ حسن بن بويه ـ أن الجيوش السامانية هاجمت جرجان والري بقصد الإستيلاء عليهما حتى يتفرغ لمساعدة أخيه في رد هجمات السامانيين عن مملكته. إلا أن ناصر الدولة بن حمدان استغل فرصة انشغال معز الدولة في مساعدة أخيه، وسير أحد أولاده على رأس قوة من مقاتليه للإستيلاء على بغداد لكنه مني بالفشل.

فصمم معز الدولة على رد غدر ناصر الدولة والإنتقام بالهجوم على الموصل سنة ٣٤٧ هـ /٩٥٨ م والإستيلاء عليها. ولولا مساعدة أخيه سيف الدولة بن حمدان ـ صاحب حلب ـ مقابل ألفي ألف درهم (مليوني درهم) لم يتمكن ناصر الدولة من استعادة الموصل من البويهيين[٩].

٢ ـ محاولة العمال والقرامطة الإستقلال بمقاطعاتهم:

كان ضعف الخلفاء العباسيين عاملاً مشجعاً للعمال على الإستقلال بمقاطعاتهم في العصر العباسي الثالث، إذا أراد أبو القاسم البريدي الإستقلال بالبصرة وقطع خراجها عن العاصمة بغداد. فما كان من معز الدولة إلا أن سار إليه سنة ٣٣٦ هـ /٩٤٨ م واستولى على البصرة[١٠]. فهرب البريدي إلى هجر ـ البحرين ـ مركز تجمع القرامطة، وبدأ يحرض القرامطة لاسترداد البصرة الذين وافقوا على طلبه أخيراً وأتوا سنة ٣٤١ هـ /٩٥٣ م ومعهم أمير عمان من البحر. لكن مقاومة أهل البصرة أفشلت خطة البريدي ومن معه من القرامطة وأبعدتهم عنها.

---

(٧) الكامل في التاريخ ٦ / ٣١٦ والبداية والنهاية. جـ ١١ / ٢١٣.

(٨) الكامل في التاريخ ٦ / ٣٢٩. والبداية والنهاية جـ ١١ / ٢٢٠.

(٩) الكامل في التاريخ ٦ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤. والبداية والنهاية جـ ١١ / ٢٣٣.

(١٠) الكامل في التاريخ ٦ / ٣٢٥ ـ ٣٢٦. والبداية والنهاية جـ ١١ / ٣١٩.

٣ ـ عمران بن شاهين يؤسس له دولة مستقلة فوق أرض البطيحة:

قام أحد الجباة، وهو عمران بن شاهين بجباية الأموال والهرب بها إلى البطيحة[١١]، فراراً من معز الدولة البويهي، وتحصن عمران هناك. فقويت سلطته بعد أن التف حوله جماعة من الصيادين واللصوص، وأقام فوق أرض البطيحة دولة داخل الدولة العباسية. استمرت أربعين سنة: ٣٢٩ ـ ٣٦٩ هـ / ٩٤٠ ـ ٩٧٩ م، لم يستطع البويهيون إخضاعها إذ ان الهزيمة كانت تحل بجنودهم في كل مرة يهاجمون بها البطائح.

٤ ـ أزمة الغلاء وتفشي الوباء:

في غمرة الحروب المتواصلة التي اضطر معز الدولة بن بويه أن يخوضها للحفاظ على سلطانه في الدولة العباسية، ، لجأ إلى زيادة جباية الأموال من الناس للوفاء بإرزاق جنوده. كما أغرى كبار قواده وأصحابه بمنحهم إقطاع القرى ليحصلوا على دخلها. كما أن محاباة معز الدولة لجنوده من الأتراك والتوسع في منحهم الإقطاعات أثارت حقد الديلم وحسدهم[١٢] مما أدى إلى منافرة بين الطرفين. كل هذه الأعمال، وتلك الفتن كانت السبب الرئيس في اشتداد أزمة الغلاء وتفشي الوباء وكثرة الوفيات في بغداد، حتى هجرها كثير من أهلها وبيعت الدور والعقارات بالخبز كما أن الصراعات بين الأتراك والديلم أخافت التجار على أموالهم وأنفسهم، فانعدم النشاط التجاري، واضطربت الحياة الإقتصادية في بغداد في خلافة المطيع لله وقت اشتداد الخلاف المذهبي بين الشيعة والسنة.

وإزاء تلك الحالة نصح مقدم الأتراك حاجب معز الدولة ـ سبكتكين ـ الخليفة العباسي المطيع لله أن يعتزل، ويبايع ولده الطائع. فعمل بالنصيحة، وخلع نفسه من الخلافة في ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م[١٣].

---

(١١) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٥. والبطيحة أرض واسعة بين واسط والبصرة تكثر فيها المستنقعات وترتفع فوقها الآجام والقصب.

(١٢) الكامل في التاريخ ٦ / ٣١٧. وتاريخ ابن خلدون. جـ ٣ / ٤٢١ ـ ٤٢٢.

(١٣) الفخري في الآداب السلطانية ٢٨٩.